اتصال اجتماعي عمومي أو الإعلام والاتصال القيمي

د. أمال عميرات

جامعة الجزائر03 – الجزائر

مدخل :

عرف مفهوم الاتصال على انه عبارة عن نوع من التفاعل الاجتماعي من خلال الرسائل المرسلة ومجموعة من العمليات تؤدي إلى زيادة الشيوع والمشاركة والعمومية، فهو الشيء المشترك بين المشاركين في هذه العملية، لأن الاتصال نشاط يستهدف العمومية أو الشيوع والانتشار لفكرة أو موضوع أو قضية عن طريق انتقال المعلومات والأفكار والآراء والاتجاهات من شخص أو جماعة إلى أشخاص أو مجموعات باستخدام الرموز ذات المعاني المحددة والمفهومة لنفس الدرجة لدى كل من الطرفين، وبهذا فالاتصال هو كل أساس تفاعل إعلامي ثقافي حيث ينتج عنه نقل المعارف والمعلومات، ييسر التفاهم بين الأفراد والجماعات، فهو النشاط الذي يستخدمه الإنسان لتنظيم حياته ولاستقرارها أو لتغيير حياته الاجتماعية، لذلك فعملية الاتصال تسعى لتحقيق هدف عام هو التأثير في المستقبل حتى تتحقق الخبرة مع المرسل وينصب هذا التأثير على أفكار المستقبل لتعديلها أو تغييرها، أو على اتجاهاته أو عل مهاراته (1) وعندما يكون هذا التأثير متجها نحو تغيير أو تعديل اتجاهات ومواقف وسلوكات نحو الأفضل لصالح المجتمع ككل، فإن هذا النوع من الاتصال الهادف نحو المصلحة العامة للمجتمع اصطلح على تسميته بالاتصال الاجتماعي أو الاتصال العمومي أو الاتصال الاجتماعي العمومى الذي يعرف على أنه يتجاوز مجرد تبادل المعلومات بين طرفي الاتصال بل أنه أوسع من ذلك عندما يحاول التأثير على الآخرين بالإقناع من أجدل تعديل المعارف والمواقف والآراء والسلوكات سعيا نحو مصلحة المجتمع كهدف أساسي له، فهو بذلك يستجيب للمصلحة العامة خاصة في مجال مكافحة الآفات الاجتماعية وترويج القيم الأساسية، فهو بذلك يحفز ويدعو كل فرد من المجتمع لأخذ نصيبه من المسؤولية لمصلحة المجتمع.(2)

فالإنسان يعبر لكي يقنع ويعدل المعارف والآراء والمواقف الخاصة بالآخرين وعندما يكون هذا التعديل لصالح المجتمع ككل ويستجيب لتطلعات أفراده وفائدتهم يصبح اتصالا عموميا هدفه الأساسي تصحيح المواقف والسلوكات بالإقناع فهو يسمح بانجاز مهمة مشتركة ذات فائدة على المجتمع تجعل كل فرد منه يأخذ نصيبه من المسؤولية وهو بذلك يسعى لتطوير المشاركة لصالح المجتمع ككل(3) وهو رهان استراتيجي يذلل الصعوبات ويسمح بالوعي في الحياة الاجتماعية فهو يدعو للتحلي باليقظة من أجل التقليل من النفقات التي قد تنجر إذا حدث العكس فهو إستراتيجية بث لبقة تتفادى تبذير الجهد والمال دوره لا يقتصر على الإعلام فقط بل أيضا على

تحفيز وحث المستقبل على المشاركة من أجل المصلحة العامة مما يؤدي للمدنية والتحضر التي هي غاية الاتصال العمومي الذي لا تظهر نتائجه فورا (4)

ومادام الاتصال العمومي ميدانه السلوك الإنساني لأن معرفة السلوك الإنساني ضرورة هامة لكل العاملين في مجال الاتصال العمومي فهو محاولة تكييف الأفراد مع أنفسهم في سلوكهم و تصرفاتهم تجاه الضغوط الملقاة عليهم والقيام بحاجاتهم الحياتية بشكل من التوازن النفسي والسلوكي للمحافظة على علاقاتهم في المجتمع. (5)

فالاتصال العمومي يركز على قضايا تهم المجتمع ككل فقد يكون تربويا صحيا أو اقتصاديا يعالج مشاكل مختلفة الأبعاد باختلاف مجالات هذا الاتصال العمومي (6)

فهنالك الكثير من القضايا الاجتماعية التي يعمل عليها الاتصال العمومي كالعنف والطلاق والجنوح والجريمة والمخدرات والايدز و تبذير الطاقة ... لذلك يهتم هذا النوع من الاتصال بالتوعية من اجل السير على النهج السليم والقويم والابتعاد عن العادات الضارة من اجل حياة مدنية سليمة وهذا النوع من الاتصال الاجتماعي العمومي يسمح بالوقاية من مختلف الأمراض والحوادث ويسمح بالتربية في مختلف المجالات سواء كانت صحية أو خاصة بحماية البيئة أو ترويج قيم اجتماعية أو وطنية، أي محاولة تطوير مشاركة الفرد داخل مجتمعه مشاركة إيجابية فعالة، فالإنسان يعبر لكي يقنع ويعدل المعارف وألآراء و المواقف الخاصة بالآخرين وعندما يكون هذا التعديل لصالح المجتمع ككل ويستجيب لتطلعات أفراده وفائدتهم يسمى اتصالا عموميا، هدفه الأساسي تصحيح المواقف بالإقناع.

1- **الاتصال القيمي أشمل وأدق من الاتصال العمومي:** لكن ألا يكون مصطلح الإعلام والاتصال القيمي انسب وأكثر تعبيرا عن الموضوع ؟

أليس من الأصح تداول مصطلح الإعلام والاتصال القيمي في جامعاتنا وبين طلبتنا عوض تبني مصطلحات غربية لم تضبط بعد حتى في المدارس الغربية مثلما هو الأمر بالنسبة لمصطلح الاتصال الاجتماعي أو الاتصال العمومي الذي يتضمنه الإعلام والاتصال القيمي؟

فنحن هنا بصدد إعلام المتلقي بضرورة تبني السلوك الصحيح وذلك بتربيته على أساس قيم صحيحة غير أن اعتمادنا على المراجع الأجنبية في هذا المجال جعلنا نتبنى نفس مصطلحاتهم فهم يرون أن الاتصال العمومي هو نفسه الاتصال الاجتماعي عندما يقع تحت معاني الصالح العام: كحق الجمهور في المعلومات والبحث عن الحقيقية، فالعمل الاجتماعي والعمل في هذا المجال يبحث عن الانخراط الاجتماعي للمجتمع وفق المبادئ المروج لها. إن المصالح العمومية تستلزم الاتصال لمحاولة الجذب والإقناع وتقوية ما هو إيجابي مع الأفراد، فمجالات هذا الاتصال العمومي عديدة كالصحة المتضمنة للوقاية قبل العلاج وتوعية الأفراد بخطورة الأمراض الفيروسية كالسيدا ويتضمن أيضا رسائل تمرر ضمن حملات إعلامية موجهة

للجمهور العام تحتوي على رسائل توعية تبين خطورة السلوكات السلبية وتقدم النصائح وكيفيات الوقاية أو المعالجة. (7)

ومن منطلق احتكاكنا بالموضوع لسنوات أدركنا أن هذا الاتصال الهادف للمصلحة العامة يجب تكييفه وخصوصيتنا الثقافية والحضارية لأنه مادام ينطلق من التربية كأساس فقيمنا التربوية الحضارية أسمى وأوسع مدى إذا أحسننا تلقينها للمتلقي ليترجمها في سلوكاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والصحية وحتى البيئية لذلك فإذا كان الإنسان هو صانع الحضارة وكل شيء في الحضارة متوقف عليه فمصيره يتوقف إلى حد بعيد على التربية التي تكون البيئة المحيطة به، فكلما سمت التربية ازدهرت الحضارة واتسعت أمامها آفاق الحياة، وأمة التربية الإسلامية ذات الرسالة الخالدة لديها من مقومات التربية ما يجعلها صانعة الحضارة بعيدة عن الآفات، لكن ابتعادها عن هذه الأسس التربوية جعلها تفقد قيمها الحضارية .

إذا كان على التربية أن تحافظ على الدين وشريعته وأخلاقه الفاضلة وقيمه النبيلة فإن عليها تجديد الفكر وتطوير العلم وتجعل الجيل رائد عصره ينشد الصواب والخير والفضيلة ويبتعد عن الخطأ والأمراض والآفات ولا يتأتى ذلك إلا بتربية جيل مسلم على عين الحقيقة الإسلامية القائم على منهج تربوي مبدأه الوقاية، فالقائم بالاتصال مطالب بمراعاة هذا الأصل والمحافظة عليه من الانحراف وحتى عند الخطأ هناك تربية علاجية تفتح آفاق لتغيير الواقع نحو الأفضل بتربية المتلقي على القيام بدور خلافة واعمار الأرض بالعمل الصالح وهو العمل الصحيح الذي فيه خير ومصلحة للجميع فكان الادعى تسمية هذا المجال النبيل من الاتصال بالإعلام والاتصال القيمى باعتبار الدين الإسلامي الصحيح بمصدريه المقدسين القران والسنة هما رأس هرم هذه القيم المدعو لها لتكون أساس التربية الصحيحة ومن ثم الموقف والسلوك الصحيح.

2- أبعاد الاتصال العمومي و علاقتها بإستراتيجية الدعوة المحمدية :

يمثل الاتصال مفهوم أساسي في الفكر الاجتماعي وفي حياتنا المعاصرة فهو بمثابة الميكانيزم الذي يسمح باستمرار الحياة والعلاقات الاجتماعية وفق معايير معينة لما يتميز به من مقدرة تعبيرية على نقل وتوصيل الأفكار للآخرين واستمرارية التأثير وتجاوز عنصر الزمن وعامل المكان والسرعة والقدرة على الانتشار والوصول إلى أفراد المجتمع كافة، أي أنه يعطي المجتمع القدرة على الانتظام وفق قيم معينة، لذلك تحاول البحوث المعاصرة تأكيد مشروعية هذا العلم لما يتضمنه من أهداف نبيلة غايتها المصلحة العامة مع مراعاة بعض الجوانب والاعتبارات المستمدة من علم الاجتماع، الاقتصاد، التربية، والسياسة [8] نظرا لشساعة ورحابة مجال هذا النوع من الاتصال الذي يمس كافة حياة الإنسان فالحياة الاجتماعية كلها مجال للاتصال العمومي حيث المشاكل والآفات ذات الأبعاد المختلفة اجتماعية كانت أو صحية أو اقتصادية أو سياسية، فكلها تمثل أبعاد مختلفة و متنوعة للاتصال العمومي.

وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية أول الدول التي اهتمت بأبحاث الاتصال وأخذت دول العالم عنها معظم نظريات الاتصال، كما نقل العالم العربي الكثير من نماذج الاتصال ونظرياته الغربية الأمريكية ومازال يفتقر حتى الآن إلى نظرية عربية خالصة في الاتصال كما أن هناك ميادين كثيرة للاتصال لم يتطرق إليها الباحثين العرب في هذا المجال وميادين أخرى تحتاج على مزيد من البحث و الدراسة، و كثير من الدراسات العربية في مجال الاتصال تعالج مشكلات فرعية بغير تعمق بالإضافة الى تأثرها بالتيار الغربي دون مراعاة لطبيعة مجتمعاتنا العربية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وحتى الثقافية فأسندت جميع أصول العلوم على أوربا أو أمريكا وطبقت نماذج، دون مراعاة الخصوصية العربية الإسلامية تطبيقا أعمى، فنحن لا ننكر اجتهاد الغرب في مجال بحوث الاتصال، لكن لا يمكن أن ننكر أيضا أصول هذه العلوم وبدايات الاهتمام بها بل وحتى ممارستها (9)

إن الاتكال على نظريات الغير وما يؤلفه أساتذة الغرب جعل علومنا تبقى جامدة دون دراسة وبحث، بل وجعل غيرنا يبحث فيها خاصة في مجال الاتصال العمومي، الذي تجمع أغلب المراجع على أنه علم حديث، فهو كنظرية، فعلا حديث، لكن كممارسة سيحاول البحث أن يبين أسسه، حيث مارسه معلم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم بكل أبعاده، فإذا كان الاتصال العمومي يعرف بأنه كل اتصال يهدف للمصلحة العامة بأبعاده المتعددة والمختلفة كالاتصال الصحي، البيئي ومحاربة مختلف الآفات (كآفة المخدرات والسيدا و الكحول ..... وكل ما يمكن أن يمس مصلحة المجتمع فإن ما تقوم به الجماعات المحلية، كالبلديات أو المجالس العامة و الجهوية في سعيها لترقية المشاريع ومحاولة خلق الشعور بالهوية أو الانتماء القومي يدخل أيضا في إطار الاتصال العمومي، فكل القطاعات، ثقافية كانت أو نقابية أو دينية، مرورا بالجمعيات الإنسانية، إذا مارست اتصالا بهدف المصلحة العامة، فذلك يدخل في حيز الاتصال العمومي الذي أصبح اليوم يمس كل مجالات الحياة نظرا لانتشار الآفات بما في ذلك المجاعات و الحروب التي يعرفها العالم اليوم (10)

وإذا كان الأمر كذلك في النظريات الغربية فان الرسول صلى الله عليه وسلم قد دعى إلى ذلك في جملة واحدة « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » وبين الأسلوب في ذلك بقوله « الدين النصيحة » وهو ما يسمى اليوم شعارا – في إطار الاتصال العمومي حيث النصيحة تتضمن في الشعار، كما بين وتميز رسالة الإسلام التي جاء به في قوله « الإيمان تسع وتسعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » (11)

يرتبط الاتصال العمومي أو الاتصال القيمى ارتباطا وثيقا بالقضايا والمشكلات الاجتماعية بحيث أصبح من الضروري أن تتم دراسة هذا النوع من الاتصال في الإطار الاجتماعي الواسع لما له من تأثير اجتماعي قوي، وللدور الحاسم الذي يقوم به في عملية التغيير الاجتماعي إلى درجة دفعت الكثير من الباحثين إلى التأكيد على أن كل تحليل للتغير

الاجتماعي لابد أن يركز على مبادئ وميكانيزمات الاتصال العمومي [12] حيث يركز هذا الأخير على تعديل السلوك أو تغييره انطلاقا من الفهم الكامل للقوى النفسية الضرورية التي تقود السلوك الإنساني بدراسة تكوينه النفسي والاجتماعي والحضاري في محاولة لتدعيم الأفكار والاتجاهات أو تغييرها لإحداث التغيير المستهدف في الجمهور المستهدف والذي يبدأ من التنشئة الاجتماعية التي تعتبر الوسيلة التي يتحقق بها ربط الفرد منذ صغره بمجتمعه عن طريق تعليمه كل القيم و الرموز والمعايير الاجتماعية و إدماجه في جماعته سواء كانت عائلة أو أصدقاء أو وطن [13] و الاتصال العمومي هو الكفيل بذلك عندما يدعوا إلى خلق الجو الحضاري الملائم للتقدم والنهضة بإشراك الفرد منذ الصغر في أهدافه لإرساء التغيير الاجتماعي والتحديث الذي ينشده الاتصال العمومي الهادف نحو المصلحة العامة .

فالتغيير الاجتماعي يهدف لتغيير المجتمع و تحديثه و تحقيق التحضر، بنشر المعرفة وتنمية القوانين والقواعد الجديدة الملائمة من أجل الوصول إلى حالة مثالية في المجتمع وهي مهمة صعبة تقع على عاتق القائم بالاتصال وقدرته على صياغة رسالة مقنعة بضرورة التغيير من أجل حياة اجتماعية أفضل تبدأ بالتنشئة الاجتماعية مرورا بالتغيير الاجتماعي وصولا للسلوكات الحضارية المطلوبة .

الدعوة الإسلامية المحمدية بدورها تركز على هذا البعد الاجتماعي من خلال الدعوة إلى صلاح الفرد والجماعة، فالإسلام إعلان صحيح للرأي القائل بأن الإنسان اجتماعي بالطبع لذلك حض على الاجتماع والتكتل وشجع على الإتحاد والدخول في الجماعة الواعية أو ما يسمى بالإرادة العامة، حيث أفضل الأعمال بعد الإيمان، التودد إلى الناس وتشجيع الأفراد على الامتزاج والتآلف والتحابب، فالمؤمن يألف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف فهي دعوة للتعاون والتناصح والتعاون على الخير والكسب والانتصار على الظالمين، هي انعتاق من الأنانية والخيانة بل دعوة إلى الأمانة والإخلاص بين الناس وأن يرضى لهم ما يرضى لنفسه .

دعوة الإسلام دعوة توجيه نحو التضامن الاجتماعي بالدرجة الأولى ودعوة ملحة لتكوين أمة متساندة متعاونة وقد أوضح أن الناس مسؤولون عن بعضهم البعض وكل شر يصيب الفرد أو يصدر منه ينتقل إلى الجماعة التي لا سلامة لها ولا طمأنينة إلا بسلامة الجميع [2]

فالدعوة الإسلامية لا تتعارض مع البعد الاجتماعي للاتصال العمومي بل يتكاملان إن لم نقل تتجاوزه في بعض النقاط، فهي نداء حار لاحترام الجماعة وإطاعة نظمها العادلة للتوفيق بين صالح الفرد و صالح المجتمع، فإذا تعارض صالحهما، قدم ما كان عاما، كما يقدم دفع المفسدة على جلب المنفعة، فهي حرب على الإتكالية والجبرية، فلا إصلاح فيها دون وعي وتغيير وسعي وتهديد للمفسدين والمهملين، فالمصلحة العامة رائد الجميع وأمام الحق يخضع المفسدون الذين يعبثون بسلامة الجماعة وحريتها، بتطبيق أقصى العقوبات عليهم، فهي ثورة تهذيب للتقاليد الجماعية و العادات الرتيبة لهدم الضار منها والتمسك بما هو صالح لكل الجماعة [14]

3- أهمية الأخلاق كأساس للسلوك الايجابي والحضاري:

على العموم فان علاقة البعد الاجتماعي للاتصال العمومي بالدعوة الإسلامية واضحة من خلال أهداف هذه الأخيرة التي يظهر فيها البعد الاجتماعي من خلال أهدافها التي تكفل للناس جميعا الرقي والصلاح والسعادة (وليس للمجتمع فقط) هذه الأهداف تتلخص في كلمات ثلاث: الحق والخير والجمال وهي خلاصة الرسالة الإسلامية التي أساسها الأخلاق والأخلاق كعادات صالحة ونافعة ومستمدة من العاطفة هي نتاج قوة العزيمة والصلابة والتفكير والعقل وهي تؤدي إلى الوظائف التالية :

- تجعل سلوك الفرد متصفا بالثبات والتماسك و التوافق.
- يمكن التنبؤ بتصرف الشخص وسلوكه في المواقف المختلفة.
- تجعل الفرد يتجه بانتظام واستمرار نحو غايته العظمى ويثابر لتحقيقها .
- يمكنه اختيار المسلك الصحيح المستقيم في أي موقف من المواقف مهما كان الاختيار صعبا، فالأخلاق تعطي قوة في الإرادة والعزيمة [15].

فالأخلاق نظام معقد للغاية تدخل فيه مركبات متعددة كالغرائز والعادات والعواطف وتفاعل عوامل كثيرة في الحياة يكون الدين على رأسها، والأخلاق الإسلامية منبعثة عن العقيدة الإسلامية التي تحدد الفرد المسلم السلوك الأخلاقي والقيم الاجتماعية والسلوكات الصحيحة فالأخلاق لا تمليها المصلحة أو تسيرها المنفعة متى انتهت المنفعة أو المصلحة انتهت الأخلاق، إنما الأخلاق الإسلامية ثابتة والقيم الإسلامية لا تتغير لأن الأوامر والنواهي يتلقاها الفرد المسلم من الله وعندما خاطب الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصفه بأنه ذو خلق عظيم وهو توضيح لجوهر الدعوة الإسلامية أي أن الرسول بعث مؤدبا و متمما لمكارم الأخلاق بل جعل المتخلقين بالأخلاق الفاضلة أحب الناس إليه و أقربهم منه درجة، لذلك فدعامة الدعوة الإسلامية الأولى بل الدين الإسلامي كله الأخلاق الحسنة [16].

إن القرآن والسنة بينا جملة الأخلاق الصالحة و الآداب الحميدة بصورة واضحة لا غموض فيها ليكون المجتمع مجتمع متماسك، يحافظ على شخصيته المتميزة، فالدعوة الإسلامية تدعو الى الصدق، البر، العدل، معرفة الواجب، أداء الحق، الحلم، الحياء، الصبر الشجاعة، العزة، التواضع، الرحمة والشفقة، الوفاء، العفة، صلة الرحم ، رعاية حق الجوار صون اللسان، عمل المعروف، عيادة المريض، إغاثة الملهوف، رعاية الفقراء ، ... ، وهي كلها مقومات أخلاقية بمفهومها الإسلامي التي أوجب الدين العمل بها ، أما ما يتعارض مع الأخلاق الإسلامية فقد أمر الدين بالابتعاد عنها لأنها تهدم جوانب الأخلاق لدى الإنسان، منها الكذب، شرب الخمر، الحسد، الزنا، الربا، الظلم، شهادة الزور، الإفساد في الأرض ،.... فالخلق حال أو أهيئة للنفس تصدر عنها الأفعال بلا تدبير، فالإحسان ميل نفسي يحمل صاحبه على البذل و العطاء في جميع الظروف بغير تفكير [17] إن الأخلاق تجعل من الفرد على استعداد للإتيان بأحسن

الأفعال وفي نفس الوقت كارها لأخرى، فالخلق باطني في الإنسان يترجمه السلوك والناظر إلى الإنسان لا يرى الأخلاق و إنما يشاهد العمل أو الفعل فالأخلاق هي السبب والسلوك هو النتيجة، والتربية تكون ناقصة إذا أهملت الأخلاق، فالأخلاق أساس كل تربية، فهي تهذيب، لذلك فإن الدعوة الإسلامية تربية دينية تعني بتنمية الشخصية القوية المفكرة الصالحة الواعية التي تعمل من أجل دينها وتزويد الناس بالمعارف و العلوم الدينية و الدنيوية من أجل خير الإنسان في الدنيا و الآخرة، فالحاجة الأصلية في النفس البشرية إلى العقيدة الدينية مهمة لأن الإيمان لازم في حياة الإنسان ومصدر من مصادر القوة و الاطمئنان وهذا ما تؤكده الدراسات النفسية والفلسفية والأنثروبولوجية حيث ما تشكوا منه الحضارات المعاصرة من آفات ناتجة عن ضعف التمسك بالقيم الدينية وبفضائل الأخلاق والاتجاه إلى التبذل والتحلل والانغماس في الشهوات والفساد يصدر في أغلب الأحوال عن ضعف في العقيدة الدينية ونقص النوازع إلى الإيمان لذلك فالتربية الدينية منذ الصغر تغرس مكارم الأخلاق، فالتربية عملية أخلاقية تحتاج على وقت ليتمكن الفرد من اكتساب أنماط السلوك الصحيح على أساسها [18] .

لذلك فإن دعوة الإسلام حق و الحق لا يتأثر بالعاطفة و الهوى بل عليه تقوم حياة الأمم و ليس المجتمع فقط وقد عني الإسلام بالحق و أوضح سبله فأعلن أن الله حق وكتابه حق وأن الحق هو الذي ينفع الناس أما الخير فهو دليل الناس فلا فائدة في علم أو عمل أو سياسة لا تتحلى بالإخلاص والصلاح والأمانة وكل ذلك هو الخير وما تدعوا إليه رسالة الإسلام في جميع ومختلف المناسبات، ويبقى الجمال الذي خصته دعوة الإسلام بأعظم نصيب وحثته عليه بأن يتجلى الخير والحق فيه، فالتشريع الإسلامي دعى إلى مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن وأمر بالإحسان إلى الفقراء ونهى عن المن والأذى وحض على النهي عن المنكر بالمعروف وخير قدوة في ذلك محمد صلى الله عليه وسلم الذي حققها – كقائم بالاتصال – بأسلوب موفق ونموذجي لأي قائم بالاتصال [19]

لقد تجاوزت أهداف الدعوة الإسلامية – اجتماعيا – الجمهور المستهدف من مجرد كونه مجتمعا فقط بل خاطبت الناس أجمعين، فتجاوزت بذلك حدود الزمان والمكان بل إن القيم التي دعت وتدعوا لها لا تزال صالحة وستبقى كذلك في كل زمان ومكان فهي دعوة تلح على التضامن الاجتماعي وسلوك وآداب اللباقة وإتباع طائفة من الواجبات مع مختلف الأشخاص لتوطيد أواصر المحبة واتحاد الجماعة حتى تكون كالجسد الواحد حرصا على الإصلاح وسلامة المجتمع بل الأمة بأكملها وهو ما يجعلنا نطلق على هذا النوع من الاتصال بالاتصال القيمى. تجدر الإشارة إلى أن إصلاح المجتمع أو الأمة من إصلاح الفرد و إصلاح الفرد لا يكون إلا بإصلاح عقله ، لذلك فإصلاح عقل الإنسان هو أساس إصلاح جميع خصاله ثم إصلاح أعماله و على هذا الإصلاحين (العقل والأعمال) مدار قوانين المجتمع الإسلامي.إن العقيدة هي أساس التفكير ، فإذا ربي العقل على صحة الاعتقاد تنزه عن مخاطر الأوهام فعرف الحقائق و

المدركات الصحيحة وتهيأ لقبول التعاليم الصالحة والعمل الحق، والأمة التي تنشأ على هذه الأصول تنشأ لا محالة على عزة النفس وقوة الإرادة فمن صحت عقيدته صح تفكيره في كل نواحي الحياة العقلية والعلمية شرط أن لا يشوبها الخطأ في الفهم وعليه فإن صح التفكير صلح العمل مع وجود الوازع الديني[20]

إن الوازع النفسي الديني يمنع السلوك من الانحراف عنها اكتسبته من الصلاح حتى يصير تخلفه بذلك دائما وشبيها بالاختياري وضعف الوازع النفسي في المسلمين اليوم وتحريفهم حقيقته سبب انحطاطهم، لكن الإسلام فتح باب تجديد هذا الوازع بالتربية، فالوازع النفسي مهم لما له من آثار في الإصلاح الفردي والجماعي، فعندما يتأصل هذا الوازع يمكننا الاستغناء عن الجبر، فتاريخ السيرة النبوية لم يحفظ لنا احتياج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إقامة أوامر الإسلام بين أتباعه بالقوة والسلطان بل دام المسلمون زمان إقامتهم بمكة لا وازع يزعهم عن تجاوز حدود الله والشريعة غير وازعهم النفسي الناشئ عن كمال الإيمان، بل حتى الجاني كان يجيء للرسول صلى الله عليه وسلم بدافع الوازع النفساني الديني ليقر بجنايته ويسأله إقامة الحد عليه، ولم يكن الرسول يحتاج إلى التنفيذ بالقوة. لذلك فان مشاريع النهوض المأمولة إن لم تحسن الاستفادة من المنهج النبوي في التغيير

والبناء الحضاري وتصبح قادرة على وضع الحاضر في موقعه المناسب من مسيرة المنهج النبوي سوف تفتقد بصيرتها ومرجعيتها ومركز رؤيتها، بمعنى آخر: مشاريع النهوض والتغيير إذا لم تستطع تصويب شهادة الرسول صلى عليها بإستعاب منهجه في التغيير، سوف تبقى عاجزة على أن تصوب شهادتها على الناس، فهذا الشهود الحضاري الغائب يتطلب العودة إلى استيعاب الأنموذج مرة أخرى في ضوء الحال التي نحن عليها حيث لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها [21] فالأحاديث النبوية مصدر ثري للفقه الحضاري وللسلوك الحضاري بالايجابية البناءة واعتبار الانسان بالجوهر لا بالمظهر واعتبار الغايات العليا للحياة وتوخي مكارم الأخلاق والسلوك المهذب وفعل الخير والتزام النظام والأدب العام والنظافة والتجمل والتسامح مع المخالفين والرحمة بخلق الله وهي كلها قضايا يهتم بها الاتصال العمومي اليوم، لذلك فالحديث النبوي الصحيح لا يزال محكم الأساس قوي البنيان وأشرف العلوم وأجلها بعد القرآن الكريم وقد عنيت الأمة الاسلامية منذ عهد الرسول بحفظ أحاديثه وروايتها والالتزام بها علما وعملا وسلوكا وأخلاقا.

4- نموذج عن الجانب الاعلامي الاتصالي القيمي لعينة من الأحاديث النبوية:

إذا كان الإعلام هو نقل المعلومات والمعارف والثقافات الفكرية والسلوكية بطريقة معينة من خلال أدوات وسائل الإعلام والنشر الظاهرة والمعنوية ذات الشخصية الحقيقية أو الاعتبارية بقصد التأثير فإن الأحاديث النبوية تتوفر على كل عناصر الاتصال اللازمة في العملية الإعلامية الاتصالية، بالإضافة إلى كونها تعالج قضايا هامة لصالح المجتمع ككل عن طريق

إعلام الناس بالحق وبالشهادة لصالح الحق، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يميز الأحاديث النبوية الصحيحة في بعدها الإعلامي الاتصالي العمومي أنها عامة للبشر جميعا بالدعوة لا بالإكراه(22).

وبالرغم على توفر مقومات الاتصال العمومي وأهم قضاياه لدى الإعلاميين المسلمين إلا أنهم ليسوا على مستوى الأحداث الخاصة بهذا المجال وإلى الآن لم يدركوا خطورة المرحلة التي تتميز بالعجز عن مواجهة المشكلات والتحديات التي تواجه الأمة والفشل في بناء المسلم بناء صحيحا، فكل ما يوجد حول هذا المجال مستورد من الغرب قلبا وقالبا دون أدنى تمحيص حتى لو كان لا يتماشى مع ديننا وعاداتنا وتراثنا، فهناك تهميش وتسطيح وتغييب لعقل الإعلامي المسلم إلى جانب افتقار إعلامنا واتصالنا في هذا المجال إلى مخاطبة الغرب، ونحن أصحاب الرسالة الحق، بل لم نتمكن حتى من تصحيح صورة الإسلام لأننا لم نتخذ مواقف موحدة اتجاه قضايانا، فالحرب الإعلامية الاتصالية في وقتنا الحاضر أقوى من حرب الأسلحة، والأمة الإسلامية تمر بأحلك فترات تاريخها الطويل، نظرا لما يوصف به الإسلام من أنه دين إرهاب رغم انه هو من أرسى قواعد مكافحة الآفات بما في ذلك العنف والاعتداء. (23)

إن أنجع السبل في التعامل مع هذا الواقع بكل تعقيداته وتناقضاته وإشكاليته هو التحول إلى أمة متقدمة ومتحضرة، حيث يجب أن يمثل ذلك الخيار التاريخي الذي يجب التمسك به ولا تراجع عنه إذا كانت هناك فعلا إرادة الدخول من جديد في حركة التاريخ واستعادة المكانة اللائقة في العالم حتى يكون للأمة شأن بين الأمم العالم ومدنياته ووجود وبقاء ومصير ومستقبل.والتحول إلى أمة متحضرة لا يتحقق إلا من خلال العمل بالقوانين التاريخية والسنن الاجتماعية العامة والثابتة في قيام الحضارات، وفي مقدمة هذه القوانين والسنن أن التغيير الشامل يبدأ من الذات، والتحول إلى أمة متحضرة يحتاج إلى زمن طويل تحقيقا لعامل الزمن في قيام الحضارات، على أن يكون هذا الزمن كاشفا عن مسيرة ظافرة في الإنماء والبناء والعمران وعلى مستوى الأبعاد كافة، فنحن بحاجة إلى منظور حضاري كمنهج في نقد وتحليل واستشراف أوضاعنا وأحوالنا والانتقال إلى وضعيات متحضرة(24)

وليس هناك اصدق ولا اصح من الحديث النبوي الصحيح كفكر وكمنهج لاستنباط الفكر الإعلامي الاتصالي القيمي منه لتحقيق كل هذه الأهداف الحضارية :

– عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه**"

– عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ قال: "**من سلم المسلمون من لسانه ويده**"

– عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلا سأل النبي : أي الإسلام خير؟ قال :"**تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**" (25)

– عن المعرور قال : لقيت أبا ذر بالربدة، وعليه حلة وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك فقال : إني سابيت رجلا فعيرته بأمه، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم "**يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم**"

– عن الأحنف بن قيس قال :" ذهبت لأنصر هذا الرجل، فلقيني أبو بكرة ، فقال أين تريد؟ قلت : أنصر هذا الرجل، قال: ارجع، فإني سمعت رسول الله صلى الله علبه وسلم يقول: "**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**" فقلت يا رسول الله هذا القاتل ، فما بالك بالمقتول؟ قال: "**إنه كان حريصا على قتل صاحبه**"(26)

– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة تكتب له بمثلها**" (27)

– عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**" (28)

– عن جرير بن عبد الله قال: إني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قلت: أبايعك على الإسلام فشرط علي :" **والنصح لكل مسلم**" فبايعته على هذا، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم (29)

1- وظائف الأحاديث الإعلامية:

كلها تشترك في الوظيفة الإعلامية التوجيهية التربوية، وفي إطار هذا التوجيه تتحدد ملامح التربية الإسلامية للفرد المسلم وملامح العلاقة بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية.

ففي الوقت الذي يعد الإسلام فيه أمرا ذاتيا متعلقا بالفرد ويحاسب على عدم الدخول فيه، فهو من ناحية أخرى ذو طبيعة اجتماعية تجعل الفرد المسلم يحمل في قلبه في كل لحظات حياته مشاعر تربطه بالآخرين، هذه المشاعر لا بد أن تترجم ترجمة عملية وتتحول إلى سلوكيات وتصرفات تحكم علاقة المسلم بغيره وهذا ما أبرزته هذه الأحاديث عندما حددت مفهوم الإسلام، فقد عرفت الإسلام من خلال المظاهر السلوكية وربطت الإيمان بالمشاعر والأحاسيس القلبية.

أهم المواضيع الواردة في الأحاديث:

في إطار الوظيفة الإعلامية التربوية التوجيهية عرفت هذه الأحاديث المسلم بأنه الشخص الذي تحكم تصرفاته وسلوكياته العقيدة الإسلامية في شكل أنماط سلوكية محددة:

- هجرة ما نص الله عنه أي أن المسلم لديه الإستعداد للتخلي عما ألفه من سلوكيات منافية لتعاليم الإسلام والأخذ بالسلوكيات الإسلامية، فالهجرة ليست هجرة الديار، وإنما هجرة السيئات، وذلك للتوجيه وفتح باب الأمل أمام الذين حزنوا لانقطاع الهجرة وفضلها ممن لم يدركها، فأعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم بحقيقة الهجرة في مفهومها العام المتمثلة في هجرة

السيئات والتي هي شرط أساسي من شروط الإيمان، فحقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى الله عنه، فاشتمل الحديث على جوامع من معاني الحكم والأحكام. (30)

- المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، فالإسلام ليس أداء حقوق الله فقط بل أيضا حقوق المسلمين، فمن أحسن معاملة الآخرين وكف الأذى عنهم هو الأولى أن يحسن معاملة ربه وقد خص الرسول اللسان لأنه المعبر عما في النفس ولاتساع مداه، إذ يشمل بالقول الماضين والحاضرين والحادثين بعد. بخلاف اليد وإن كان يمكنها مشاركة اللسان بالتدوين والكتابة، فالحديث يحث على حسن معاملة الآخرين لأن المسلم إذا أحسن معاملة إخوانه فأولى أن يحسن معاملة ربه، فأداء حقوق الله تعالى أداء حقوق المسلمين. (31)

- المسلم إنسان إيجابي وغير أناني غير فاسق وغير سباب ولا يخاصم ولا يعتدي، فلا يكفي فقط بكف أذاه عن الآخرين بل عيه التحرك من أجل النفع العام، فيطعم الطعام، ويفشي السلام تأليفا للقلوب ومراعاة لحق الأخوة الإسلامية على من يعرف ومن لا يعرف.

– تتحقق الايجابية أيضا عندما ينفع المسلم أخاه المسلم ولا يستأثر بالخير لنفسه وهو منتهى الايجابية والإنسانية والترفع بالروح عن الأنانية التي قد تؤدي إلى إيذاء الآخرين، كما تتجلى الايجابية أيضا في الكف عن سب الآخرين وقول ما فيهم وما ليس فيهم لعظم حق المسلم على أخيه ومحافظة على العلاقات الاجتماعية الحسنة.

فإن الشخص الذي يسب الآخرين، بغير حق يعد فاسقا والفسوق لغة الخروج وشرعا الخروج عن طاعة الله ورسوله (32) وأكثر من ذلك فالايجابية التي تدعو إليها هذه الأحاديث خاصة في الحديث الذي يدعو إلى أن يكون المسلم مسالما لا يتخاصم مع أخيه، لأن المخاصمة مذمومة يعاقب الله على طرفيها خاصة إن وصلا حد العنف واستخدام السلاح، فمجرد نية القتل تؤدي بصاحبها إلى عقوبة النار ولو مات مقتولا وذلك حرصا وحفاظا على أرواح ودماء المسلمين من مجرد الغضب والتهور والخصومات حيث هذا التعدي يخرج المسلم من دائرة الإيمان، فكل معصية تؤخذ من ترك واجب أو فعل محرم (كالسباب أو القتل) فهي من أخلاق الجاهلية.

- الأعمال الصالحة يجزى بها المسلم أضعاف ما عمل بها: وذلك تشجيعا للمسلمين على المبادرة بالأعمال الصالحة التي يضاعف أجرها عند الله عكس السيئة منها يجزى بمثلها وهو أيضا تحفيز للمسلم ليكون صالحا، إيجابيا، وفعالا فيعود ذلك عليه بالنفع وعلى غيره أيضا.

- نصيحة المسلمين بعضهم بعضا من شروط اكتمال الإيمان، فالنصيحة هي الدين في إطارها يتحدد الهدف الأسمى من الاتصال بالآخرين لأنها تكفل حيازة النفع المنصوح وفيها مصلحة للكل وذلك في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شرط أن تتسم بالإخلاص أي أن تكون لله وإلا لا تصبح من الدين، فكل عمل لم يرد عامله الإخلاص فليس من الدين، فالنفع للآخرين واجب على المسلم كونها تنصب في دائرة الإيمان، فمعظم الدين النصيحة، والنصيحة مشتقة من نصحت العمل إذا صفيته، فقال نصح الشيء إذا خلص ونصح القول إذا خلصه له،

فالنصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ المنصوح له وهي من وجيز الكلام بل ليس في الكلام كلمة مفردة تستوفي بها العبارة عن معنى هذه الكلمة. (33)

- لقد ختم البخاري كتاب الإيمان بباب النصيحة مشيرا إلى أنه عمل بمقتضاه في الإرشاد إلى العمل ثم عقبه بكتاب العلم لما دل عليه حديث النصيحة أن معظمها يقع بالتعلم والتعليم. (34)

2 -خصوصية الأحاديث الإعلامية:

كل هذه الأحاديث المنصبة في باب الإيمان هي أحاديث توجيهية تربوية إعلامية اتصالية أراد بها الرسول تعليم المسلمين العقيدة الإسلامية الحقيقية المرتبطة بعدة جوانب من خلال التربية العملية المرتبطة بالجوانب التطبيقية في بعدها الاجتماعي الواقعي حيث "الدين المعاملة" وحتى إن جاءت هذه الأحاديث في باب الإيمان إلا أنها تحمل أبعاد اجتماعية صالحة لأن تكون بوصلة توجه سلوك الناس عن بعضهم ليعيشوا حياة ملؤها السلام والوفاق، لكن كونها جاءت في باب الإيمان كشروط لاكتمال إيمان المسلم جعلها أكثر أهمية فقد ربط الرسول من خلال هذه الأحاديث اكتمال الإيمان بالمعاملات الاجتماعية الحضارية اللائقة أي ربط الإيمان بالسلوك.

-التحليل الكيفي :

كل هذه الأحاديث ركزت على توجيه وتربية السلوك الاجتماعي للفرد المسلم اتجاه الآخرين واتجاه مجتمعه وتشجيعه، على أن يكون دائما ايجابيا نافعا للآخرين فيكون جزاؤه أضعاف من عند الله وهي كلها شروط لاكتمال إيمانه بالله ورسوله، وهو تطبيق الرسالة ودين الإسلام وفي الحقيقة عبر هذه الأحاديث تتجلى روعة رسالة الإعلام في إنسانيتها، فتجمع بين السلوك الاجتماعي الحضاري اللائق والإيمان، حيث لا تناقض ولا تنافر بين الدين والحياة الاجتماعية التي يبتغيها كل إنسان، ملؤها السلام والوفاق والخير.

-فئة المواضيع:

ركزت هذه الأحاديث على الجانب الاجتماعي من خلال الاستجابة العلنية المتمثلة في أفعالهم وسلوكاتهم الاجتماعية وارتباطها بعنصري المجاهدة والجزاء بالثواب والعقاب كل تشجيع للسلوكيات الاجتماعية اللائقة وتحفيزا لها، والجزاء يكون عاجل في الدنيا عندما يحيا الناس في سلام وحب ومودة.

لقد بينت هذه الأحاديث الارتباط الشديد بين العقيدة والسلوك وبين حقوق الله وحقوق العباد، فقد اشترطت كلها سلوكات اجتماعية لائقة لاكتمال إيمان الفرد باعتبارها مقياس لأداء حقوق الله، فالمسلم الذي يحسن معاملة إخوانه ويكف أذاه عنهم يحسن بالضرورة معاملة ربه.

-فئة المتلقين :

المتلقون في هذه الأحاديث متنوعون وفقا لطبيعة الخطاب، فهناك:

-أحاديث خطاب عام تتوجه أساسا إلى المتلقين ككل وهم المسلمون جميعا، حيث يهدف الخطاب إلى تحديد أحكام سلوكية عامة لتوضيح حقيقة الإسلام حيث جاء في شكل تقريري باعتبار أن هذه الأمور نهائية غير قابلة للجدل والنقاش تتحدد من خلال معايير التفاضل أو التمايز للمسلمين في مدى الأخذ بها وهو المعيار الذي يمكن تصنيف الجمهور في إطاره.

-خطاب خاص لأفراد من المتلقين بغرض التوجيه من خلال النقد والتوبيخ لسلوك يتنافى مع الإسلام، كما حدث مع أبي ذر، حيث وجهه الرسول إلى حسن التعامل مع شريحة من المجتمع (العبيد) وهو ما يقابلهم اليوم الخدم، ورغم خصوصية هذا التوجيه إلا أنه يتعلق بقاعدة سلوكية عامة ملزمة لجميع المسلمين باعتبارهم مكلفين بنفس هذا الأمر.

-فئة القيم:

تشمل الأحاديث على قيم اجتماعية تتمثل في حسن المعاملة، فالإسلام الحقيقي لا يتم إلا بالقيام بحقوق الله المتضمنة فيها حقوق المسلمين.

والتي ملخصها سلامتهم من الأذى على اختلاف أنواعه ولومن مجرد كلمة يكرهها وينكرها المتكلم عنه فسلامة المسلم من شر وأذى أخيه المسلم حق.

فالمسلم الحقيقي الذي تمكن الإيمان من قلبه يدفعه إلى رعاية المصلحة العامة والحفاظ عليها. وهذا هو الإخلاص في التعامل الذي تحث عليه هذه الأحاديث التي تدعو إلى كف الإيذاء الحسي والمعنوي، لأن من يؤذي غيره ولا يأمنه الناس، لا إسلام له ولا إيمان، لذلك تزرع هذه الأحاديث قيم سامية تتجسد في الحرص على حسن المعاملة وترك كل ما نهى الله عنه وفيه أذى للغير وإضرار بمصلحتهم من أجل مجتمع سوي يعيش أفراده في توافق وانسجام وحرص على صلات الإنسان بغيره المستندة على قيم إنسانية.

3 -الأساليب الاعلامية الاتصالية للأحاديث:

تنوعت بين أسلوب الترهيب ببيان نوع العقاب الذي ينتظر من يخرج عن السلوك الإسلامي والترغيب للمسلين الذين حسن إسلامهم باطنيا وظاهريا وانعكاسه على مظاهر سلوكهم الاجتماعي بين الأفراد في الأطر التي حددتها الأحاديث الشريفة وإقرار مبدأ المسؤولية عن جوانب السلوك الإنساني إذ ترتبط بالجزاء.

بالإضافة إلى أسلوب التدرج في بيان حقيقة الإسلام وهو الأسلوب الأكثر بروزا في هذه الأحاديث، فليس هناك حصر لجوانب السلوك الإسلامي متضمنة في حديث واحد وإنما في أحاديث عديدة بهدف الارتباط بالأحداث وضمان الاستيعاب الكامل لجانب السلوك المستهدف وضمان اعتياده وسلوكه، حيث يحتاج لجهد ووقت ومعاناة، لذلك تدرج الرسول مع المسلمين حتى يخفف عنهم، ولملاحظة مدى الاستيعاب وكذلك للمتابعة والتأكد من ترسخ القيم واقتلاع بقايا الجاهلية.

لقد كان بإمكان الرسول أن يعطي كل شروط اكتمال الإيمان في حديث واحد، وهو الذي أوتي جوامع الكلم لكنه قصد التدرج من أجل الأسباب السالفة الذكر وهي قمة في منهجية التعليم والتوجيه والتربية التي يجب أن يحتذي بها في مختلف المؤسسات التربوية والتعليمية وحتى الإعلامية الاتصالية اليوم، لاسيما تلك المهتمة بمجال الاتصال الاجتماعي العمومي.

4 –قيمة الأحاديث في مجال الإعلام والاتصال القيمى :

ركزت كل هذه الأحاديث الشريفة على البعدين التعليمي التربوي والاجتماعي للإعلام وللاتصال القيمى وقد أعطت للحياة الاجتماعية قيمة كبيرة حيث ربطت المصلحة الاجتماعية والمعاملة الاجتماعية اللائقة التي تبدأ من مجرد إفشاء السلام، وصولا إلى حفظ الروح من الاعتداء عليها، ربطت بالإيمان بل جعلت منها شروطا مهمة لاكتمال إيمان المسلم واشترطت أن يكون هذا التعامل الحضاري مع الآخرين معيارا لحسن التعامل مع الله، فالتربية الإسلامية الحقة تستوجب عليه أن يترجم إيمانه بسلوكه ومعاملاته لا بأقواله فقط.

فهي تدعو إل أن يكون الفرد المسلم في إطار الجماعة ايجابيا وفعالا وقائما بالاتصال مسؤولا من خلال واجب النصيحة، فالإيمان الذي لا يصدقه العمل لا إخلاص فيه بل أن معيار أداء حقوق الله قدسية حقوق العباد ومعاملتهم بالحسنى وكف الأذى عنهم على اختلافه.

لقد لخصت هذه الأحاديث شروط اكتمال إيمان الفرد المسلم بالتدرج بمنهج تعليمي تربوي عملي يتجسد في السلوك الحضاري المنشود، فيكون المسلم مجزيا دينا وآخرة فكيف تكون رسالة الإسلام أو دين الإسلام مناقض للعلم وهذه الأحاديث في مجال الاتصال القيمى وحده –على سبيل المثال لا الحصر– قد سبقت النظريات والحملات الإعلامية التي تستهدف المصلحة العامة، فالدين النصيحة فقط أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمكن من خلالهما استخلاص نظريات وأسس ومبادئ للحملات ذات المصلحة العامة فهي تدعو إلى أن يكون كل مسلم واعيا ومدركا ومسؤولا عن مجتمعه الذي يعيش فيه، بالتالي يسعى كل من موقعه إلى أن يكون داعيا وقائما بالاتصال ليعم السلام وتعم الحضارة.

والعلم الحديث في تقدمه جاء مؤيدا للدين الصحيح والدين الصحيح جاء حاثا على العلم الصحيح وكيف لا والدين يأمرنا بالتفكر في السماء والأرض وفي المخلوقات لأن الله الخالق يعلم أن هذا فيه نفع لنا في الدنيا وتثبت في الآخرة.

العلم الحديث يأتي مؤيدا ومثبتا للقرآن والسنة، فلا صدام بين ما يأتي به العلم وما أتى به القرآن والسنة منذ أزمان مضت، بل لا بد منهما في مسيرة الحياة التي خلقها الله. لقد عانى العالم من غياب الدين الصحيح وتقاعس أهله عن أداء فريضة الدعوة إلى الله وتبليغ دينه الحق إلى الناس كافة، فاصطدم العلم المادي بدين محرف، وعاش العالم بعلم مادي دون دين صحيح يقود خطاه ويوجهه لما يرضي الله، فكانت المآزق والآفات وكان الصراع والأطماع والحروب المدمرة وعاش العالم حياة تعسة.(35)

إن الحديث الواحد كان يحتوي على أكثر من وجه تعليمي وأسلوب إرشادي وتربوي صالح أن يكون نموذجا للتعليم والتربية والتوجيه في أكثر من جانب، وليس بالضرورة وروده في جانب معين أنه قاصر عليه فقط، فخصوصية الأحاديث النبوية الشريفة التعليمية التربوية أن الواحد منها يصلح في أكثر من مجال وأكثر من بعد.ومن خلال تحليل عينة الأحاديث الواردة في باب العلم يتضح أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كقائم بالاتصال يمكن اعتباره معلم الناس والبشرية جميعا كما اثبت ذلك القرآن الكريم، لكنه على وجه الخصوص نموذج للقائم بالاتصال الناشط في ميدان الاتصال الاجتماعي العمومي ومعلمهم وموجه ومربي في هذا المجال بصفة خاصة باعتبار ما توصل إليه التحليل لعينة الأحاديث الواردة في هذا الباب.فبالرغم من أن أول ما دعا إليه الإسلام في بداية اتصال الرسول بوحي السماء هو العلم ومن ثم أصبح الرسول يدعو إليه وييسر سبل تحصيله ويشجع طالبيه بل أثبتت الدراسات أنه كان معلما نموذجيا مستعملا لأساليب علمية تربوية وتعليمية لا تزال تدرس اليوم وتستخدم ويعمل بها، بالرغم من أن أمة الإسلام هي أمة إقرأ والتاريخ يشهد للحضارة الإسلامية بذلك وعلى محاربتها للجهل بنوعيه أمية القراءة والكتابة وأمية العقيدة، فإننا نجد أحفاد عظماء المسلمين الذين كانوا هداة مهتدين ومستخلفين في الأرض ناجحين، بالرغم من كل ذلك نراهم يتراجعون عن دورهم القيادي في الحياة ويتوارون عن مسؤولياتهم الكبيرة في حمل آخر الرسالات السماوية وأتمها وأكملها إلى البشرية جمعاء ويتهاوون في ظلمات الجهل وإهمال التعلم حتى يصل متوسط نسبة الأمية بينهم إلى هذا الحد المفزع المخيف، وهذه أبسط متطلبات المعرفة الإنسانية غير متوفرة. فكيف تحرز تقدما ما في أي مجال آخر خاصة إذا كان مجال العلوم والتقنية الذي يحتاج إلى عقول مستنيرة وحواس مستوعبة وتدريب متواصل وعمل دؤوب وتضحيات كثيرة لتهيئة الكوادر القادرة على إحداث نهضة علمية وتقنية صحيحة، فأول الوسائل لذلك استثمار الثروات وصون البيئة باعتبار أن الإسلام يقرر أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ويعتبر الحفاظ عليها واستثمار خيراتها ومواردها فرض واجب على كل إنسان، كما يعتبر الأخوة الإنسانية من أسس الوجود في هذه الدنيا التي أصبحت مغيبة في ظل التكتلات العسكرية والسياسية والفكرية والعقائدية المعاصرة التي لا تعترف بهذه القيمة بل شعارها الغاية تبرر الوسيلة والبقاء للأقوى وغيرها من الشعارات الماكيافيلية التي لا مكان فيها للقيم ولأي أدنى حد من الإنسانية وواقع اليوم خير شاهد على ذلك. فحتى يستطيع الإنسان القيام بمهمته الحضارية في هذا الكون دعته الرسالة الخاتمة إلى التسلح بالعلم وركزت عليه بل جعلته فريضة دينية وعمارة الأرض في منظور الرسالة الخاتمة ليست هي الحضارة على الإطلاق وليست العمارة على الإطلاق وإنما أحد جوانب العمارة وهي الحضارة المادية، أما الجانب الثاني الذي به تكتمل الحضارة – أو عمارة الأرض كما يعبر عنها القرآن– هي القيم الدينية بما فيها العلم المؤدي للإيمان فيه تكتمل الحضارة أو عمارة الأرض وهو محل خصوصية الرسالة الخاتمة والحضارة

التي تدعو إليها. إذ لا تكتمل الحضارة إلا بهذه القيم الدينية والأخلاقية.فالحضارة الحقيقية التي تسعى إليها الرسالة الخاتمة هي الحضارة التي تضع الإنسان في قمة أهدافها والذي يرتقي بالعلم الذي يوصله للإيمان والعقيدة الصحيحة فيسلك السلوك الصحيح الحضاري.

***الهوامش و المراجع :**

[1] Denis Macquail : Mass communication theory an introduction ,second édition , London , 1988 P 54

2 Michel LeNet : la communication publique , pratique de compagnes d'information , édition de documentation française , paris 1992 P 134

Ibid .p13

3 Marianne Messagere : La Communication publique en pratique.les éditions d'organisation. Paris.1995.P50.

[4] Michel LeNet : /La communucation publique, op.cit,p13

[5] P.Malval,J .M.Delaudin : Communication, théories et pratiques , ed person éducation paris , 2005 P 668

[6] Boris libois : La communication publique ,pour une philosophie politique des medias édition harmattan paris 2002 p 33.

[7] حميد جاعد محسن الديلمي : علم اجتماع الإعلام ، رؤية سوسيولوجية مستقبلية ، دار الشروق عمان ، 2006 ، ص 45

[8] محمود حسن إسماعيل : مبادئ علم الاتصال و نظريات التأثير ، مكتبة الدار العالمية ، القاهرة ، 1998 ، ص 34

(1) Clande Jean Bertrand : Medias. 2em edition , Ecllipses , Paris , 1999 , p 23

[9] محمد على أبو جادو : سيكولوجية التنشئة الاجتماعية ،ط4. دار الميسرة .عمان.2004 ، ص 15

[10] محمد سيد فهمي : فن الاتصال في الخدمة الاجتماعية ، دار الوفاء الإسكندرية ، 2006 ، ص 123

[11] بلقيس اسماعيل داغستاني : التربية الدينية و الاجتماعية للأطفال ،ط2.مكتبة العبيكان.الرياض،2005ص.303

[12] محمود مهدي الأسطنبولي : عظمة الإسلام ، المكتب الإسلامي،بيروت. ص 100

[13] المرجع السابق ، ص 324

[14] بلقيس اسماعيل داغستاني . م ، س ، ذ ، ص 12

[15] المرجع السابق ، ص 14

[16] المرجع السابق ، ص 16

[17] المرجع السابق ، ص 75

[18] محمود مهدي الاستانبولي : عظمة الإسلام .م ، س ، ذ ، ص 330

[19] محمد الطاهر بن عاشور : أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، دار سحنون ، تونس 2006 ، ص 82

20 يوسف القرضاوي: السنة مصدر للمعرفة والحضارة، دار الشروق.القاهرة.2005 ، ص 301.

21 المرجع السابق.ص.6

22سهيلة زين العابدين بن حماد، الاعلام في العالم الاسلامي، الواقع والمستقبل، ط1، مكتبة العبيكات، الرياض، 2003، ص.11

23المرجع السابق. ص12

24 زكي الميلاد، الاسلام والمدنية،ط1 . الدار العربية للعلوم ، بيروت.2007ص .159

25ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري:صحيح البخاري.كتاب الإيمان. المجلد الأول .دار الكتاب العربي.بيروت.2005.ص .16

26المصدر السابق ص .20

27 المصدر السابق ص.22

28 المصدر السابق ص .24

29المصدر السابق ص .26

30أبو حجر العسقلاني: فتح الباري لشرح صحيح البخاري: المجلد الاول. المكتبة العصرية.بيروت.2009 ، ص .76

31 المرجع السابق: ص.75

32محمد منير حجاب: التفسير الاعلامي لصحيح البخاري. ط1.دار الفجر.القاهرة ، ص .37

33ابوحجر العسقلاني.فتح الباري شرح صحيح البخاري . م، س، ذ، ص77 .

34 ابوحجر العسقلاني.فتح الباري شرح صحيح البخاري.م.س.ذ .ص116 .

35 عبد المجيد الزنداني: الاسلام أو الضياع،مكتبة القران.القاهرة.1993 ، ص 6.